أثر تحمُّل الاختلاف في العمل الإيجابي عند بديع الزمان سعيد النورسي

دراسة مقاصدية

ID No. 737

(PP 20 - 32)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.6.2

لقمان بهاء الدين أحمد

كلية العلوم الإسلامية,جامعة صلاح الدين-أربيل

Luqman.ahmed@su.edu.krd

الاستلام:2022/11/07

القــبول:2023/05/09

النـــــشر:2023/12/15

الملخص

هذه الدراسة تبحث في أثر تحمل الاختلاف في تحقيق العمل الإيجابي عند بديع الزمان النورسي، وهو من أعلام الكرد الذين أفنوا أعمارهم في سبيل لم شتات الأمة ، وإعادة مجدها، وإنقاذ إيمان المسلمين فترة حكم أتاتورك، وقد بين أن مقصوده بالعمل الإيجابي هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، وإن كان مشروعه الدعوي يستلزم عداء من يخالف نهج القرآن المتمثل في رسائل النور، ثم أكد في مواضع عدة من رسائله على أثر تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي حيث استدل على تأصيل تحمل الاختلاف بنصوص من القرآن والسنة، وبمقصد الشرع من السلم، وحاجة الأمة ومراعاة العصر، كما بين أن تحمل الاختلاف يحقق مقاصد شرعية من وحدة الصف، ونشر المحبة والسلام، والتعاون والتعارف، والحب في الله، والتحصن ضد الأعداء، كما وضع مبادئ رصينة لتوظيف تحمل الاختلاف في تحقيق العمل الإيجابي، وهو الاشتغال بالعلم، ومراعا ة الأولوية في المصالح، والنظر إلى مآل الأفعال، والتصالح والتجاوز وعدم التعصب، ونبذ الأغراض الشخصية عند المناقشة، والنظرة الشمولية، وتوظيف القومية للعمل الإيجابي، وبذلك وضع دستوراً لتحمل الاختلاف وفي العمل الإيجابي مما تمس الحاجة إليه وخاصة في عصرنا الحاضر المليء بالتناحر والنزاع.

الكلمات المفتاحية: تحمل الاختلاف، العمل الإيجابي، النورسي، مقاصد الشريعة.

1-المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وحبيب ربِّ العالمين محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ ما يشهده العالم المعاصر من النزاعات والحروب والفتن التي باتت تعصف بالأمة نابع من التفرق، والتعصب، ورفض الآخر، هذه الأمراض التي أصبحت تفتك بجسد الأمة.

وما هذه الحالة الاّ نتيجة بُعد الناس عن منهج الإسلام الصحيح، ومنهج العلماء الربانييّن الذين رسموا سبل التعامل مع الاختلاف بين الأفراد والجماعات والآراء والمذاهب بما يخدم الحضارة الانسانية، وينشر المحبة والسلام، لذلك كان حريّاً بأهل العلم دراسة مناهج العلماء في التعامل مع الاختلاف، وتربية الأجيال عليها لتحقيق السلام، والمحبة بين الأفراد، والمجتمعات، ولدفعهم إلى العمل الإيجابي البنّاء.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين تركوا بصمات واضحة، ومناهج مرسومة للتعامل مع الاختلاف بديع الزمان النورسي، لذلك اخترت موضوع (أثر تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي عند النورسي- دراسة مقاصدية) عنواناً لهذا البحث، وذلك لإبراز منهج هذا العالم الرباني في التعامل مع الاختلاف.

1-1: أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع إضافة إلى ما سبق جملة أسباب منها:

1 - شيوع النزاع والخلاف على نطاق واسع بين الأفراد والجماعات.

2- حاجة الأمة إلى النهوض بالعمل الإيجابي، وانتهاج السبل الموصلة إليها.

3- مكانة الإمام النورسي في قلوب المسلمين، وأثره في شريحة واسعة من المجتمعات الإسلامية على التربية الإيجابية المبنية على فقه الاختلاف في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

1-2: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان منهج بديع الزمان في تحمل الاختلاف.

2- إبراز أثر تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي.

3- الكشف عن المقاصد الشرعية لتحمل الاختلاف.

1-3: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في العلاقة بين تحمل الاختلاف والعمل الإيجابي عند بديع الزمان النورسي، ومدى أثر تحمل الاختلاف في تحقيق العمل الإيجابي، والمقاصد الشرعية المترتبة على ذلك.

1-4: الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع ما يأتي:

1- بحث منشور بعنوان " الاختلاف أسبابه وعلاجه وأثره في العمل الإيجابي في فكر الامام النورسي" للباحثين: أحلام محمود مطالقة، و د. محمد أحمد الزغبي، وقد ركزت الدراسة على أسباب الاختلاف ووسائل علاجه وأثر ذلك في العمل الإيجابي، بينما ركزت دراستنا على تحمل الاختلاف في تحقيق العمل الإيجابي، إضافة إلى أن دراستنا مقاصدية.

2- "العمل الإيجابي البناء.. مركزية التربية الروحية وفاعليتها في فكر بديع الزمان سعيد النورسي" د. محمد حلمي عبد الوهاب، وهذه الدراسة ركزت على أخلاق التسامح والرحمة والإخلاص باعتبارها دستورا نورانيا وركائز إيمانية للعمل الإيجابي البناء.

3- "آليات الاختلاف ودورها في العمل الإيجابي في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي" د. سعاد دوفاني، من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – الجزائر، وقد اقتصرت هذه الدراسة من آليات الاختلاف على الحوار وشروطه وآدابه.

1-5: منهج البحث

سلك البحث المنهج الاستقرائي القائم على تتبع الجزئيات للوصول إلى قواعد كلية، كما اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع المعلومات وتوصيفها، ثم تحليلها للوصول إلى العلاقة بين متغيرات البحث، فقد قمت في هذا البحث باستقراء أقوال بديع الزمان النورسي عن تحمل الاختلاف والعمل الإيجابي، وترتيبها وتحليل العلاقة بين المتغيرين للوصول إلى أثر تحمل الاختلاف في تحقيق العمل الإيجابي عنده في ضوء مقاصد الشريعة.

1-6: خطة البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على النحو الآتي:

المبحث التمهيدي: مفهوم تحمل الاختلاف والعمل الإيجابي والمقاصد.

المطلب الأول: مفهوم تحمل الاختلاف

المطلب الثاني: مفهوم العمل الإيجابي

المطلب الثالث: مفهوم المقاصد

المبحث الأول: تأصيل تحمل الاختلاف ومقاصده

المطلب الأول: تأصيل تحمل الاختلاف

المطلب الثاني: المقاصد الشرعية لتحمل الاختلاف عند النورسي

المبحث الثاني: توظيف تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي

المطلب الأول: الآثار السلبية لعدم تحمل الاختلاف

المطلب الثاني: مبادئ لتوظيف تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي.

خاتمة في أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، إنّه هو السميع المجيب.

2: تعريف تحمل الاختلاف والعمل الإيجابي

2-1: مفهوم تحمل الاختلاف

التحمُّل في اللغة صِيغَ من الفعل الثلاثي حمل على وزن التَفَعُّل، يقال: تحمَّل الحمالة حملها، وبمعنى تدَّخر، وتحمَّل به وعليه، أي: استشفع به إليه، وتحامل في الأمر وبالأمر: تكلَّفه على مشقة، وتحمَّلوا واحتملوا أي: ارتحلوا (ابن منظور، د.ت، 11/ 174. الرازي،1999م، 81).

والاختلاف من الخلف، وخالفه إلى الشيء عصاه إليه، أو قصده بعدما نهاه عنه، وأخلف فلان بعقبي إذا فارقه على أمر، ثم جاء من ورائه فجعل شيئاً آخر بعد فراقه، وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف (ابن منظور، د.ت، 82/9)، والاختلاف في الاصطلاح هو الخلاف الناشئ عن دليل (قلعجي وقنيبي، ١٩٨٨ م، 50).

نستنتج من معاني الكلمتين أنّ تحمل الاختلاف هو قبول الاختلاف بحيث لا يفضي إلى التنازع والتفرق.

2-2: مفهوم العمل الإيجابي

الإيجابي نسبة إلى الإيجاب، وهو في اللغة الإلزام والتحمل فمعنى أوجبه إيجاباً أي: لزم وألزمه (ابن منظور، د.ت، 793/1. قلعجي وقنيبي ، ١٩٨٨ م، 86)، والإيجاب: إيقاع النسبة، والمراد أنّ ما ينسب إلى أمر، أو شيء بالإيجاب فإنه يقع، والإيجاب أقوى من الاقتضاء؛ لأنّ دلالته في اللزوم والحتم أقوى (الجرجاني، 1405هـ، 59)، وا لإيجاب في الفقه يعضد المعنى، فالإيجاب هو أن يقال: بعتك، أو ملكتك، أو أيّ لفظ يدل عليهما، والقبول أن يقال: اشتريت، أو قبلت، ونحو ذلك (المقدسي،1405هـ، 4/4، البركتي، ٢٠٠٣م، 40).

فالإيجاب هنا الأمر الذي يترتب عليه عند القبول اللزوم والوجوب. فالإيجابية تتضمن الإلزام والالتزام، والحتم والوجوب، ومعناها في المفهوم المعاصر يدلّ على إيجاب المرء على نفسه ما ليس بواجب ابتداءً، لما عنده من همة عالية، ورغبة عارمة في البذل.

العمل الإيجابي عند النورسي:

لقد وضع الإمام النورسي ضابطاً فذاً للعمل الإيجابي، ضابطاً يحدد للإنسان مسار عمله، ويسدد سعيه، ويحقق مقصده، حيث يقرر أن العمل الإيجابي البنّاء، هو: "عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً" (النورسي، اللمعات، 2011م، 209). ومن هنا ندرك العلاقة بين العمل الإيجابي وتحمّل الاختلاف، فالقائم بالعمل الإيجابي البنّاء لا يلتفت إلى إثارة الخلاف والشقاق، ولا ينشغل بالعداوات، بل يحترم كل الآراء والتوجهات، ويسعى في طريق البناء وخدمة المجتمع واثقاً بنفسه، مُحباً لمسلكه.

كما أنّ العمل الإيجابي عند النورسي ينطلق من ضمان الأمن الداخلي للإنسان الذي يدفعه إلى الخدمة والبناء، حيث يقرر أنّ مهمتنا هي العمل الإيجابي البنّاء، وليس العمل السلبي الهدام، وكذاك القيام بالخدمة الإيمانية في نطاق رضا الله سبحانه دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إنّنا مكلفون بالتحمل والصبر والشكر تجاه كل محنة ومشقة تواجهنا في الحياة؛ ويتحقق ذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تؤدي إلى حماية الأمن والاستقرار الداخلي (النورسي، سيرة ذاتية، 2011م، 532).

2-3: مفهوم المقاصد

المقاصد في اللغة جمع مقصد من القصد، يأتي بمعنى استقامة الطريق، وإتيان الشيء، والوسط بين الطرفين، والاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء (ابن منظور، د.ت، 3 /433-434.).

ونعني بالمقاصد في هذه الدراسة مقاصد الشريعة، وهي في الاصطلاح "الغايات التي أنزلت الشريعة لتحقيقها لمصلحة الخلق في الدارين." (القرني، 1998م، 19).

وتنقسم مقاصد الشريعة بالنظر إلى أهميتها على ثلاثة أقسام:

1- المقاصد الضرورية: وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، ويترتب على فقدانها اختلال وفساد كبير في الدنيا والآخرة، وقد حصر العلماء الضرورات في خمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

2- المقاصد الحاجية: وهي التي يتحقق بها رفع الضيق والحرج عن حياة المكلفين، والتوسعة فيها.

3- المقاصد التحسينية: وهذا القسم لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، ولكن يقع موقع التحسين، والتزيين، والتيسير للمزايا، ورعاية احسن المناهج في العادات والمعاملات (الشاطبي، 2003م، 6/2 وما بعدها).

وتنقسم بالنظر إلى الكلية، والجزئية على ثلاثة أقسام:

1. المقاصد الكلية: وهي الكليات التي إذا ذكرت المقاصد تبادرت الى الذهن، وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

2. المقاصد الخاصة: هي المقاصد الخاصة بباب معين، أو أبواب متجانسة من الشريعة، أو مجموعة من الأحكام المتجانسة، كالمقاصد الخاصة بالمعاملات، أو العبادات، أو بالأسرة.

3. المقاصد الجزئية: والمراد بهذا القسم مقصد الشارع من كل حكم شرعي، ويعبر عنه في كلام العلماء بالحكمة (الريسوني، 1992م، 15)

3: تأصيل تحمل الاختلاف ومقاصده عند النورسي

3-1: تأصيل تحمل الاختلاف

سلك بديع الزمان في تأصيل تحمل الاختلاف مسالك عدة، حيث استشهد بنصوص من القرآن والسنة تارة، وبالمقصد العام للإسلام تارة أخرى، ثم الاستناد إلى حاجة الأمة ومراعاة العصر، كما يتضح مما يأتي:

1- بينَّ النورسي اختلاف أهل الحق، وأنّ من أسبابه أنهم يتمسكون بالحق، فيشعرون بالقوة، فلا يبالون بالاختلاف، بينما أهل الباطل والضلالة يشعرون بالضعف والعجز، فيلجأون إلى الاتفاق، لما في الاتفاق من القوة للوصول إلى مآربهم، لذلك فطريق النجاة من هذا المرض الفتاك –الاختلاف- هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [الانفال: 46]**،** والأمر الرباني في الآية الكريمة: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [المائدة:2] دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية(النورسي، اللمعات،2011م، 214 - 215).

2- ينبه النورسي إلى ضرورة التمسك بتحمّل الاختلاف مستدلاً بأمر الله سبحانه، فيقول: "إن قطرات المطر ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلتّ متناثرة، جفتّ بسرعة وانطفأت حالاً فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103] ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال" (النورسي، صيقل الاسلام، 2011م، 366).

فالله سبحانه نهِي عمَّا يوجِب الفرقة ويزيل الأُلفة والمحبة بقوله: {ولا تفرقوا} حيث أمر بِالجماعة ونهى عنِ التفرِقة، وقد جاء كثير من الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرّقِ والأَمرِ بالوحدة والإِجتماع (الرازي، 1420هـ، 8/ 312، ابن كثير، 1419هـ، 77/2).

3- استند بديع الزمان لتأصيل تحمّل الاختلاف إلى المقصد العام للإسلام، وهو تحقيق السلام والأمان، ونبذ التفرق، حيث يقول: "الإسلام دين السلام والأمان، يرفض النزاع والخصام في الداخل" (النورسي، الكلمات، 849)، فالأصل في العلاقة حتى مع غير المسلمين هو السلم لا الحرب كما هو مقرر عند جمهور العلماء(الزحيلي، 2000م، 27، عطية،2001م، 169).

4- استدل بديع الزمان على شرعية تحمّل الاختلاف أيضاً بضرورة العصر، وما يتطلبه من وحدة الصف، وعدم التنازع في الفرعيات والخلافيات، فيقول: "والحال أنه لم يأت زمان نحن في أمس الحاجة فيه إلى اتفاق علماء الدين، وعدم خوضهم في مجادلات فيما بينهم مثل هذا الزمان فنحن مضطرون إلى نبذ الاختلاف في الأمور الفرعية، وعدم جعلها مدار المناقشات" (النورسي، الشعاعات،2011م، 454).

5- يشير النورسي إلى ضرورة تحملّ الاختلاف في سبيل التمسك بالأحكام الضرورية والاجتماع حولها، لذلك يجب التفريق بين الضرورات والمسائل الخلافية، فما دامت الضرورات أكثر؛ فيجب الاحتكام إليها، وجعلها أصلاً، وتسويغ الاختلاف في المسائل الاجتهادية الخلافية، فيقول: "إن أركان الدين وأحكامه الضرورية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المفسرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه، فالبون إذن شاسع بين أهمية الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية، فلو شبَهنا المسائل الاجتهادية بالذهب لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس، ترُى هل يجوز أن تكون تسعون عمودا من الألماس تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجَّه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس؟" (النورسي، صيقل الاسلام، 2011م، 326).

3-2: المقاصد الشرعية لتحمل الاختلاف

يتبين من مسلك النورسي أنّه اعتمد على إبراز مقاصد الشرع لترسيخ تحمّل الاختلاف، فعندما يدعو إلى نبذ التفرق والتنازع يؤكد على المقاصد المكتسبة، والأهداف المتحققة من تحمّل الاختلاف، والتي تناستها كثير من الفرق التي تمارس العنف ورفض الآخر في هذا العصر، والتي جلبت الكثير من الحروب والنزاعات، وانتهاك حقوق الناس، مما تسبب في تشويه صورة الإسلام، وشق صف المسلمين، وفيما يأتي أبرز هذه المقاصد:

1- الاتفاق ووحدة الصف:

لقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى الاتفاق، وتوحيد القلوب والصف، حيث يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، ولا يلزم من الاتفاق عدم وجود الاختلاف، لأنّ الاختلاف طبيعي في البشر، فالمقصود بالاتفاق عدم التنازع، وعدم جعل الاختلاف سبباً للمعاداة، وعدم الاعتراف بآراء الآخرين، وعدم التعاون معهم (الزحيلي، 2007م، 2/ 281) ولضمان الاتفاق مع وجود الاختلاف يقرر النورسي قاعدة ذهبية حيث يقول: "لا تثر الاختلاف لأجل الأحق بعد وجدانك الحق. يا طالب الحقيقة! إن كان الاتفاق في الحق اختلافا في الأحق، يكون الحق أحق من الأحقِّ، والحسَن أحسن من الأحسن" (النورسي، الكلمات، 2011م، 849)، فهو يضعنا أمام أمرين لنوازن بينهما، الحق والأحق، فمن لا يملك نظرة مقاصدية يصر على الأحق، ولا يبالي بتفرق الأمة وتشتتها، لكن النورسي ينطلق من منظور مقصد الوحدة، فيختار ما يحقق الوحدة حتى لو عارض الأحق؛ لأن الحق ينقلب حينئذٍ إلى الأحق.

أن الاخوة في الله ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات...كما ان هناك مراتب للمنهيات يقع النيل من الاخوة في مقدمتها كذلك، ولذلك فأن علماء السلف كثيراً ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل منه مراعاة للائتلاف وخروجاً من الخلاف" (العلواني، 1992م، 161-162).

إنّ بديع الزمان يعتمد على العمل الإيجابي البناء كأساس لدعوته، "لقد كان رحمه الله على وعي بهموم الأمة التي أجهدتها الاختلاف فيعلن رافعاً صوته في خطبته الشامية للمصلين في الجامع الأموي: " لقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك أن يتحقق، وعليه ينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية وليتجاوز كل عن الآخر" (لملم، 2010م، 88.).

2- نشر المحبة والسلام:

من مقاصد الشرع نشر المحبة والسلام بين الأفراد والمجتمعات، ومما يعزز هذا المقصد ويحفظه تحمّل الاختلاف، وهذا ما يؤكد عليه النورسي عندما يقول: "إنّ إفشاء المحبة والسلام في صفوف المؤمنين، إنّما هو حسنة كريمة للمؤمن، فله ضمن هذه الحسنة لذة معنوية، وذوق وجداني، وانشراح قلبي، مماً يذكرّ بثواب الآخرة المادي، ومن يتفقد قلبهَ يشعر بهذا الذوق" (النورسي، اللمعات، 2011م، 400)، فالشعور بالمحبة يعزز تحمل الاختلاف، ويذيب العداوات والنزاعات، وهذا الشعور نابع من تمكن الإيمان في القلوب، فالقلب المنور بالإسلام، يمتلئ بالتسامح والاهتمام والحب للمخلوقات لإجلال الخالق، والمصنوعاتِ لإجلال الصانع، فلن يجتمع الإيمان بالله والحقد للخلق في قلب ينتسب إلى الله. ويغذي إيمانه كل يوم وأسبوع وعام بأنواع العبادات، هذا القلب يمتنع عن تلقي العداوات (جولن، 2013م، 57).

3- التعاون والتعارف:

إنّ اختلاف الشعوب والقبائل واللغات والألوان آية من آيات الله، كما يقول الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم: 22]. إلّا أنّ هناك من يتعصب لقوميته، وينشر العداوة والكراهية بين الشعوب، ويرى قومه فوق الآخرين، كما يفصح غوستاف بن لوبون عن ذلك عندما يقسم الشعوب والأمم من حيث صفاتها الأخلاقية العامة إلى أربعة أقسام: الأمم الابتدائية، والأمم الدنيا، والأمم الوسطى، والأمم العليا" (لوبون، 2017م، 39)، وهو يقرر أن السبب في تباين هذه الأقسام هو التباين العقلي، وقد عقب ول ديورانت على هذه الفلسفة العنصرية بقوله: "من الواضح أن نظرية الأجناس يعتريها الضعف" (ديورانت،1993م، ص64)، فينبه النورسي إلى مقصد اختلاف الشعوب والأقوام انطلاقاً من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]، أي جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً فتصلوا الارحام وتبينوا الانساب، والتوارث لا لتفاخروا

بالأنساب والقبائل" (الآلوسي، 1999م، ج26، 436) فيقول في بيان الآية الكريمة: "أي: لتعارفوا، فتعاونوا، فتحابوّا، لا لتناكروا فتعاندوا فتتعادوا!" (النورسي، صيقل الإسلام، 2011م، 314)، فالنظر إلى هذا المقصد، وتربية الناس عليه يعود على الشعوب بكثير من التعاون والتساند، والعمل الإيجابي للتعارف بين الشعوب والأقوام، واستفادة بعضهم من بعض، بدل التنازع والمعاداة.

وقد شبه ذلك بتعاون الجند والجيش وتعارفهم، فالجيش يقسم الى فيالق وفرق وأولية وأفواج وسرايا وفصائل وحظائر، لكي يعرف كل جندي واجباته حسب العلاقات المختلفة، ولكي يؤدي الأفراد وظيفتهم تحت دستور التعاون، وذلك لحمايتهم من هجوم الأعداء... وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قسم الى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد...وهكذا واحد، واحد...الى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة" (النورسي، المكتوبات،2011م، 400، أحمد، د.ت، 218).

4- الحب في الله:

إذا تسامى الإنسان عن الأغراض الشخصية نحو المحبة لله، والبغض في الله، فلا يتخذ من الاختلاف سبيلاً للتفرق والتنازع، فيحب أخاه الإنسان في الله، وليس لموافقته إياه في القومية أو الآراء، يقول النورسي: "وصفوة القول: إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاتهُ وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: الحب في الله والبغُض في الله، حديث : (أحب الأعمال إلى الله عز و جل الحب في الله والبغض في الله) أخرجه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما. (الشيباني، 2001م، 35/ 229، رقم: 21303، وقال محققه: حسن لغيره، السجستاني، د.ت، 9/7، رقم: 4599) للاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان.. نعم، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفا ظلما في الوقت الذي يروم العدالة " (المكتوبات، 2011م، 332 - 333).

والحب في الله من ثمرات محبة الله سبحانه لأنَّ حب المسلم لربه يمتد إلى ما يحبه المحبوب جل جلاله فيحب المؤمنين لأنهم عباد الله المطيعين الذين يقومون بعبادة مولاهم (زيدان، 2011م، 321) .

ويقول في أهمية المحبة وأثرها على مواقف الناس: "فالمحب لا يبحث عن نقص، بل لا يرغب في أن يرى نقصا في محبوبه، بل يرى أضَعف الدلائل والأمارات على كمال محبوبه من أقوى الأدلة والحجج" (النورسي، المكتوبات،2011م، 573). يرى النورسي أن تفعيل روابط الأخوة الإيمانية ونبذ الاختلافات الواهية من أهم متطلبات العصر إذ متى تحققت الأخوة بالمفهوم السابق كان ذلك سبباً لحمل الناس على تجنب الإضرار ببعضهم، فالمؤمن الغيور لا تسعه شهامته أن يؤذي المؤمن قط فكيف يسبب له الإضرار لمصلحته الجزئية الخاصة، فلا بد أن يسارع إلى التوبة والإنابة إلى الله حالما يشعر بخطئه وتسببه في أذى المؤمن (لملم، 2010م، 76).

5- التحصن ضد الأعداء:

لا شك أنّ الأعداء يتربصون بالمسلمين والمخلصين ليثيروا بينهم الشقاق والنفاق، وذلك للسيطرة عليهم، وإضعافهم، ولتحقيق مآربهم الخبيثة، ومن الأسلحة الفتاكة التي يستغلونها لذلك استغلال الاختلافات الداخلية بين المسلمين، ينبه على ذلك النورسي عندما يقول: "مرض اجتماعي خطير وحالة اجتماعية مؤسفة أصابت الأمة الإسلامية يدَمْيَ لها القلب: إنّ اشد القبائل تأخرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم، وإذا تقدر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهَم الاجتماعية حقّ قدرهِا، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الأعداء حولهَم وأطبقوا عليهم من كل مكان" (النورسي، المكتوبات،2011م، ص333) . وهذا مصداق قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: 73].

6- صيانة النفس من الأخلاق السيئة:

إنّ التمادي في الاختلاف، وجعله سبباً للتنازع والتفرق يورث الإنسان كثيراً من الصفات السيئة، والأخلاق الرذيلة مثل الغرور، والأنانية، والتكبر، والتعصب، مما يكدر طبيعة المسلم، ويعيقه عن العمل الإيجابي البنّاء، وقد تفطن النورسي إلى ذلك عندما

قال: "إخوتي الأعزاء! إنّ أول ما نوصيه وآخرهَ: الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية، والغرور، والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس" (النورسي، الشعاعات، 2011م، 347).

4: توظيف تحمل الاختلاف في العمل الإيجابي

4-1: الآثار السلبية لعدم تحمل لاختلاف

تناول بديع الزمان الآثار السلبية للاختلاف في مواضع عدة في رسائله للتحذير منها، ولفت الانتباه إلى ما يسببه الاختلاف من تفرق وضعف في صفوف طلاب النور، وأفراد المجتمع، ومن هذه الآثار ما يأتي:

1- الفتور وبث الشبهات:

ينبه النورسي على ما يستغله أهل الضلالة من الاختلاف لبث الفتور وإثارة الشبهات، فيقول: "إذ علمت بخبر يقيني أنه قد عيّنّ ثلاثة أشخاص، منذ ثلاثة شهور، ليلُقوا الفتور فيما بين الإخوة الأوفياء هنا باستغلال اختلاف الأفكار والمشارب فيما بينهم، وعاملين على تثبيط عزائم الأقوياء منكم، وبث الشبهات والأوهام والخوف في قلوب الرقيقين منهم، القليلي الصبر والتحمّل" (النورسي، الشعاعات،2011م، 520، سيرة ذاتية،2011م، 479)، ولا شك أن بث الشبهات والفتور يعرقل السعي نحو العمل الإيجابي البنّاء.

2- التعصب ورد الحق:

ومن الآثار السلبية التي ذكرها النورسي ونبه عليها التعصب ورد الحق، سواء كان تعصباً في المذهب أو في القومية، أو التحزب، فيقول: "رأيت ذات يوم رجلا عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغُرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى -في الوقت نفسه- على منافق يوافقه في الرأي السياسي! فأصابتني من هذه الحادثة رعِدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة، ومنذئذ انسحبت من ميدان الحياة السياسية" (النورسي، المكتوبات، 2011م، 331)، هذا التعصب يؤدي إلى التقاعس عن العمل الإيجابي والتعاون، وعدم الاعتراف بالجميل والعرفان.

3- استغلال الظلمة والأعداء الاختلاف لبث التفرق وبسط سيطرتهم

فالأعداء يستغلون الخلافات الداخلية لشق صف الأمة، وتشتيت انتباهها لقضاياها الأساسية، يقول النورسي: "الذي نشاهده من التفرق إنما هو لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة بالسوء فهو ملجأ ذوي النيّات السيئة، بل متكأ الظلَمة ومرتكزهُم" (النورسي، المكتوبات، 2011م، 332).

كما يحذر من الذل الذي يصيب الناس إذا لم ينتبهوا إلى ما يخطط لهم الأعداء: فينادي المؤمنين الذين ينشدون الحياة العزيزة، ويرفضون الذلة والهوان، بأن ينتبهوا من غفلتهم، ويعودوا إلى رشدهم، ويحتموا بالقلعة الحصينة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، ويحموا أنفسهم من الظلمة الذين يستغلون الخلافات الداخلية" (النورسي، المكتوبات، 2011م، 334، عكيوي، د.ت، 25). وهذا الوعي والفهم من مشكاة النبوة والصحابة كما يتبين من موقف كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا، حيث جاء فيه: "فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك، فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها" (البخاري،1987م، 1603/4، رقم/ 4156، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز و جل { وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، النيسابوري، د.ت، 2120/4، رقم/ 2769، بابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ).

4-2: مبادئ لتوظيف تحمُّل الاختلاف في العمل الإيجابي

رسم بديع الزمان مبادئ عدة لتوظيف تحمّل الاختلاف في العمل الإيجابي، ولسد المنافذ التي يبث فيها الأعداء سمومهم لتفريق شمل الأمة، وصد محاولاتهم لتمزيق صف الأمة، ومن هذه المبادئ:

1- الاشتغال بالعلم والاجتماع حول رسائل النور:

إنّ الاجتماع على مائدة العلم، ودراسة رسائل النور التي تدعو إلى العمل الإيجابي البنّاء ينأى بالمخلصين عن الشقاق وبث الخلاف، وقد وجّه النورسي رسالة إلى المسجونين لينبههم على ضرورة مدارسة رسائل النور؛ لئلا يوقع الشيطان والأعداء العداوة

والبغضاء بين صفوف طلاب النور، يقول فيها: "إخوتي الأعزاء الصديقين! بناء على إخطار معنوي مهم، إن لكم مهمة أو مهمتين نوريتين، تلك هي السعي بكل ما أوتيتم من قوة بدروس رسائل النور، لئلا يحدث بين المسجونين المبتلين المساكين في هذه (المدرسة اليوسفية الثالثة)، الانحياز إلى جهة والانشقاق، حيث إنّ مفسدين خطرين يتربصون تحت الستار ليستغلوا الاختلاف، والأغراض الشخصية، والحقد والعناد" (النورسي، الشعاعات، 2011م، 520).

فالاجتماع حول دروس العلم يؤدي إلى التساند ويشغل الإنسان عن الخوض في المفسدات ويضيق الهوة بين الأفراد.

2- مراعاة الأولوية في المصالح:

مراعاة الأولوية في الأعمال والمصالح أصل أصيل عند تعارض المصالح، هذا الأصل مقرر عند علماء الأصول، يقول عز الدين بن عبد السلام: "إذا تعارضت المصلحتان وتعذر جمعهما فإن علم رجحان إحداهما قدمت" (السلمي،1980م، 1/ 60). وهذا الأصل يرجع إلى السنة النبوية كما يتبين من ترك النبي ﷺ إعادة بناء الكعبة خشية حدوث الفتنة، حيث قال النبي ﷺ ((يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير - بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون)) (البخاري،1987م، 59/1، رقم/126).

يقول النورسي في تطبيق وترسيخ هذا الأصل: "ولما كنتم مستعدين للتضحية -إذا استوجب الأمر- بحياتكم لأجل الآخرين، بمقتضى وفائكم الخالص وترابطكم الوثيق برسائل النور، فلا شك بل ويحتم عليكم أن تضحوا بمشاعركم الجزئية العابرة التي لا أهمية لها في سبيل الآخرين" (النورسي، الشعاعات، 2011م، 524). فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الشخصية الخاصة كما هو مقرر عند علماء الأصول (الزحيلي، 2004م، 800/2)، فهل يصح صرف الجهد إلي القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية وقد ضاعت الأصول الضرورية، ,وإلى هذا يشير النورسي عندما يقرر أنه في هذا الوقت الذي ينتشر فيه الفساد الأخلاقي والخواء الروحي واتباع النفس الأمارة بالسوء، وإطلاق الشهوات تصبح التقوى الأساس العظيم والركيزة الأساسية، وتكتسب الأولوية، فإن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وبما أن التيارات المفسدة المدمرة تتصاعد وتيرتها في هذا الوقت ... فإن الذي يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ينجو بإذن الله، لأن القيام بالعمل الصالح في زمن الكبائر والمفاسد المحيطة أمر نادر، فالعمل الصالح وإن كان قليلا، يكون في حكم الكثير في ظل هذه الظروف الصعبة" (النورسي، سيرة ذاتية، 2011م، 314، عكيوي، د.ت، 43).

3- النظر إلى مآل الأفعال:

مراعاة المآل من الأصول الشرعية المقررة لتحقيق مقصد الشريعة في تحقيق مصالح العباد، يقول الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة" (الشاطبي، 2003م، 160/4)، فهذا الأصل يحتم على المسلمين أن يراعوا ما يؤول إليه التنازع والتفرق عند عدم تحمل الاختلافات الجزئية، لذلك يدعو النورسي إلى التصالح لسد منافذ الفساد، فيقول: "فما دمتم تعلمون أنّ أعداءنا يستغلون جفاء جزئيا فيما بين الإخوة، تصالحَوا فوراً، وتخلوَّا عن التدلل الذي لا معنى له، بل فيه ضرر بليغ، وإلا فسيكون ضررا جسيما لخدمتنا الإيمانية" (النورسي، الشعاعات، 2011م، ص532).

وكان من أخلاق العلماء مراعاة المآل في فتاواهم، فالعالم "إذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها ورد السائل إلى ما هو أولى به على أوفق ما يكون" (الآجري، 1425م، ص81).

4- التصالح والتجاوز:

دعا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الى الصلح والتصالح، يقول تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [النساء: 128] وقد أكد النورسي على ذلك في مواضع عدة منها قوله: "لمناسبة دنو زمن فراق بعضنا بعضا ينبغي لكل منكم التجاوز عن تقصير أخيه والصفح عنه كليا عما سببته الانفعالات من الضجر والذنوب التي حالت دون الحفاظ على دساتير الإخلاص فأنتم أقوى أخوةٌ من أشقّاء النسب، والأخ يستر تقصير أخيه، ويتناسى نقصه، ويصفح عنه فأنا هنا أحيل اختلافكم وأنانيتكم غير المتوقعة إلى النفس الأمارة، ولا أجده لائقا بطلاب النور، بل أعده نوعا من أنانية موقتة، توجدَ في أولياء صالحين أيضا ممن غلبتهم نفوسهُم الأمارة فلا تخيبّوا يا إخواني حسن ظني بكم بالإصرار والعناد تصالحَوا" (النورسي، الشعاعات، 2011م، 380) وفي سبيل تطبيق هذا المبدأ يبادر الى تطبيقه قبل الآخرين حيث يقول: "وإني أطَمئِنُكم -مقسماِ بالله- أنه إذا أهانني أحدكُم أشد إهانة وأشنع تحقير، وحط من كرامة شخصيتي كليا، ولم يتخل -في الوقت نفسه- عن الخدمة القرآنية والإيمانية والنورية، فإنني أصفح عنه وأتنازل له عن حقي، وأصُالحه، وأسعى لعدم الاستياء منه" (الشعاعات، 2011م، 532). وهذا مصداق قوله تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22].

وليس العفو والسماحة والحلم من صفات الضعف ولا يراد بها السكوت عن الهوان والاحتقار، وإنما المراد التغاضي وعدم المبالاة بجهل الجاهل وسفه الطائش(الزحيلي،2007م، 237/5)، فهناك فرق بين الذلة التي هي احتمال الأذى بحيث يذهب

بالكرامة، وبين الحلم الذي هو التغافل عن المكروه حيث يزيده التغافل والتجاوز مهابة ورفعة في أعين الناس (الحمد، 1420هـ، 185).

5- الاستماع إلى الآخرين وعدم التعصب:

من أسباب الشقاق والتنازع عدم الاعتراف بما عند الآخرين من آراء وتوجهات، وعدم الاستماع إليهم، يقول النورسي وهو يقرر الدستور لمن يريد الاتحاد: "أيها العالم الإسلامي! إن حياتك في الاتحاد، إن كنت طالبا للاتحاد فاتخذ هذا دستورك: لابد أن يكون «هو حق» بدلاً من «هو الحق» و«هو حسن» بدلا من «هو الحسن»، إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا «حق»، ولا أتعرض لما عداه، فإن يك جميلاً فمذهبي أجمل، بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو «الحق» وما عداه باطل، وما عندي هو «الحسن» فحسب، وغيره قبيح وخطأ!" (النورسي، الكلمات،2011م، 849، المكتوبات،2011م، 327). فاحترام رأي الآخرين والاستماع إليهم يساهم في تضييق الخلاف لأجل العمل الإيجابي البنّاء، وقد قام بعض الأئمة من سلف الأمة بكسر نزعة بعرض الإيجابيات لتكوين النظرة الشمولية لدى المسلمين كما نجده في سيرة سفيان الثوري - رحمه الله - حيث إن من المعروف تاريخياً أن (البصرة) كانت تتعصب على المستوى السياسي لعثمان -رضي الله عنه، في حين كانت (الكوفة) تتعصب لعلي -رضي الله عنه - وقد كان سفيان: "إذا دخل البصرة حدَّث بفضائل علي، وإذا دخل الكوفة حدَّث بفضائل عثمان" (الأصفهاني، 1996م، 27/7، بكار، 2014م، 69).

6- الاتفاق على الأسس ونبذ الأغراض الشخصية عند المناقشة:

إنّ أكثر المناقشات التي لا تصل إلى اتفاق ووئام مرده قصد الشهرة، وحب الظهور، وعدم قصد الوصول إلى الحق، يقول النورسي وهو يوضح المناقشة الهادفة التي تقود إلى العمل الإيجابي البنّاء: "إنّ تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع اتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صورَ الوضوح، ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقا في المقصد والغاية" (النورسي، المكتوبات،2011م، 332).

7- النظرة الشمولية ونبذ الجزئية:

من الأسباب التي تساهم في نشر النزاعات والعنف، وعدم تحمّل الاختلافات النظرة الجزئية الضيقة، فترى من يعادي عالماً لعدم موافقته في جزئية، أو جزئيات مع آرائه متناسياً فضائله وفواضله، بينما النظرة الشمولية التي تحكم على الشخص بناء على الصورة الكلية التي تراعي فضائله وأعماله تدفع الانسان إلى احترام آراء الآخرين، والتعاون معهم في سبيل العمل الإيجابي البنّاء، يقول النورسي في بيان ذلك: "فيا من امتلأ صدرهُ غلاً وعداء لأخيه المؤمن، ويا عديم المروءة! هب أنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مراء أنك -في هذه الحالة- ستصرخ بأعلى صوتك محتجاً على ما يرتكبه من ظلم قبيح إذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها ولو كانت تضم مجرمين طالما فيها ، بريء واحد، فكما أن هذا ظلم شنيع وغدر فاضح، كذلك انطواؤك على عداء وحقد بالمؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية، لمجرد صفة مجرمة فيه، تستاء منها أو تتضرر، مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل بعشرين منها: كالإيمان والإسلام والجوار الخ" (المكتوبات، 2011م، 325، عكيوي، د.ت، 41) ، ولذلك دعا إلى عدم فتح باب المناقشة في الأمور الجزئية التي تسبب الاختلاف، لأنّ الضلالة والزندقة تستغل الاختلاف في هذا العصر(النورسي، الملاحق، ملحق أمير داغ، 2011م، 280)، ويقول الماوردي عن الإغضاء عن هفوات الإخوان: "ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه وحمد أكثر شيمه لأن اليسير مغفور والكمال معوز" (الماوردي، 2005:م، 279)، فنرى كيف أن النظرة الشمولية الكلية تحقق الوئام وتساهم في العمل الإيجابي البنّاء.

8- تجنب الانتقاد والتفاخر والتحاسد:

من المباديء التي تقود الانسان إلى تحمّل الاختلاف، والعمل الإيجابي عدم التنقيب عن عيوب الناس، وانتقادهم، وانتقاصهم، وإنّما السعي إلى سترهم وإصلاح نقصهم، وهذا ما يقرره النورسي حيث يقول: "دستوركم الثاني: هو عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الحسد بالتفاخر والاستعلاء؛ لأنّه كما لا تحاسد في جسم الإنسان بين اليدين، ولا انتقاد بين العينين، ولا يعترض اللسان على الأذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكملّ كل منه نقص الآخر ويستر تقصيره ويسعى لحاجته، ويعاونه في خدمته وإلا انطفأت حياة ذلك الجسد" (النورسي، اللمعات، 2011م، 222).

كما حذر رحمه الله من فتح باب النقد بين المسلمين والمتآخين ودعاهم إلى النظر في محاسن إخوانهم ونشر فضائلهم" (النورسي، الملاحق، ملحق بارلا، 2011م، 55). يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ)(الحجرات: 11).

9- أبرز أُسس مدنيَّة القرآن التي تعد من أهم الأسس لتوظيف تحمّل الاختلاف في العمل الإيجابي، فيقول: "أما أسس مدنيّة القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتهُا على خمسة أسس إيجابية:

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائما: العدالة والتوازن ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء

وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة

دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومد ها بما يلزم.

رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية" (النورسي، الكلمات، 2011م، 841-842)، ولا شك أن هذه المبادئ تؤسس حضارة قائمة على العدل والإنصاف وحضارة يسعد الإنسان في ظلالها وجامعة بين الجوانب المادية والروحية.

10- توظيف القومية للعمل الإيجابي

دعا الإمام النورسي في كثير من المواقف إلى توظيف القومية في العمل الإيجابي، وفي سبيل ذلك دعا إلى ضرورة الفرق بين القومية الإيجابية، والقومية السلبية، يقول لبيان ذلك: "القومية نفسها على قسمين: قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر وهذا يولد المخاصمة والنزاع...

القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحققٌ قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية" (النورسي، المكتوبات، 2011م، 401 - 403)

بمعنى اخر إنه احساس فطري فلذلك لا يقال لأهل القومية دعوا القومية وإنما اضبطوها بضوابط الشرع(جاسم، 2004م، 69)... ويقول في موضع آخر: "فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف، أمّا السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند، والإسلام يرفض هذا الأخير" (النورسي، صيقل الإسلام، 2011م، 314). وهذا التوجيه مأخوذ من القرآن الكريم من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

ولا يسعني أن أنهي هذه المباديء قبل ايراد هذا الكلام الرائع الذي يختصر المباديء ويرسم طريق النور حيث يقول: "أنّ أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها أي إن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقق السعادة هي أليق للمحبة، وأن صفة العدواة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تُجنب وتُنفرَ منها ولما كنا قد أوضحنا هذه الحقيقة في المكتوب الثاني والعشرين رسالة الأخوة نشير إليها هنا إشارة مقتضبة: لقد انتهى عهد العداوة والخصام ولقد أظهرت الحربان العالميتان مدى ما في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع وتبين أن لا فائدة منها البتة...

إذا وجُدت المحبة بحقيقتها في القلب فإن العداوة تنقلب حينئذ إلى الرأفة والشفقة، فهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان أما إذا وجدت العداوة بحقيقتها في القلب، فإن المحبة تنقلب عندها إلى المداراة والمماشاة والصداقة الظاهرية فهذا إنما يكون مع أرباب الضلال غير المتجاوزين، أجل، إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة؛ أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنما هي أمور خاصة تافهة تفاهة الحصيات لذا فإن إضمار العداء لمسلم إضمارا حقيقياً، إنما هو خطأ جسيم لأنه استخفاف بأسباب المحبة التي هي أشبه بالجبال" (النورسي، صيقل الإسلام، 2011م، 478-479).

ما أحوجنا في هذا العصر إلى نشر هذه المبادئ، وتربية الأجيال عليها لبناء عالم أفضل، عالم يُكَرَّم فيه الإنسان، ولا يُهان، عالم يتحمّل الاختلاف في سبيل العمل الإيجابي البنّاء.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نتجت جملة من النتائج والتوصيات يمكن ايجازها فيما يأتي:

1- إنّ الإمام سعيد النورسي من أبرز الداعين إلى تحمّل الاختلافات، ووحدة الصف للسعي إلى العمل الإيجابي البنّاء.

2- أسس النورسي دعوته إلى تحمّل الاختلاف على مراعاة مقاصد الشرع، والتنبيه عليها

3- صاغ النورسي ضابطاً متيناً للعمل الإيجابي، وعرفه بتعريف فريد، فالعمل الإيجابي عنده هو: عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

4- كشف النورسي عن الآثار السيئة للتفرق والتنازع، وعدم تحمّل الاختلاف، وذلك لتجنبها والعمل على سد منافذها، ومنها: الفتور وبث الشبهات، والتعصب ورد الحق، واستغلال الظلمة والاعداء الاختلاف لبث التفرق وسيطرة الأعداء

5- كشف النورسي عن المقاصد المتحققة والمتوخاة من تحمل الاختلاف، ومنها، الاتفاق ووحدة الصف، ونشر المحبة والسلام، والتعاون والتعارف، والحب في الله، والتحصن ضد الأعداء، وصيانة النفس من الأخلاق السيئة، هذه المقاصد التي يحتاجها العالم المعاصر أشد الاحتياج.

6- أسس النورسي جملة مبادي علمية رصينة لتوظيف الاختلاف في العمل الإيجابي، منها: . الاشتغال بالعلم والاجتماع حول رسائل النور، ومراعاة الأولوية في المصالح، والنظر إلى مآل الأفعال، والتصالح والتجاوز، والاستماع إلى الآخرين وعدم التعصب، والاتفاق على الأسس ونبذ الأغراض الشخصية عند المناقشة، والنظرة الشمولية ونبذ الجزئية، وتجنب الانتقاد والتفاخر والتحاسد، وإبراز أسس مدنيَّة القرآن التي تعد من أهم الأسس لتوظيف تحمّل الاختلاف في العمل الإيجابي، وتوظيف القومية للعمل الإيجابي.

وبناء على ما سبق توصي الدراسة بدراسة أدب الاختلاف عند النورسي، وتبني مفهومه في العمل الإيجابي لتعزيز العمل، وتوظيف الاختلاف في تحقيق مقاصد الشرع عن طريق دورات ودروس منهجية في المدارس والجامعات للتربية على أسس تحمل الاختلاف مما يحتاجه الجيل الجديد في عالم مليء بالصراعات والنزاعات.

وفي الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ونستغفره مما بدر منّا من زلل وتقصير، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

- ابن كثير، إ، ع، (1419هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.
- ابن منظور، م، م، (د.ت) لسان العرب، ط1، دار صادر – بيروت.
- الآجري، م، ح، (1425م) كتاب أخلاق العلماء، الإصدار الأول، إصدار الهيئة العالمية للعلماء المسلمين التابع لرابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة.
- أحمد، ش، م، (د.ت) الأمثال في رسائل النور النورسي ، جامعة الملك سعود – الرياض.
- الأصفهاني، أ، ع، (1416هـ – 1996م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر – بيروت.
- الآلوسي، ش، م، (1420هـ - 1999م) روح المعاني، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- البخاري، م، أ، (1407هـ – 1987م) صحيح البخاري، تحقيق: د مصطفى ديب البغا، ط3دار ابن كثير - اليمامة – بيروت.
- البركتي، م، ع، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت.
- بكار، ع، (1435هـ – 2014م) من أجل الدين والأمة، ط2، دار السلام – القاهرة.
- جاسم، ل، س، (2004 م) الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات دراسة تاريخية، ط1، دار سوزلر للنشر – القاهرة.
- الجرجاني، ع، م، (1405هـ) التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي – بيروت.
- جولن، م، ف، (1435هـ – 2013م) ونحن نبني حضارتنا، محمد فتح الله ، ط4دار النيل – القاهرة.
- الحمد، م، إ، (1420هـ) الهمة العالية، معوقاتها ومقوماتها، ط5، دار ابن خزيمة – الرياض.
- ديورانت، و، (1993م) دروس التاريخ ، ط1، دار سعاد الصباح – الكويت.
- الرازي، ز، م، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت.
- الرازي، م، ع، (1420 هـ) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الريسوني، أ، (1412هـ - 1992م) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت.
- الزحيلي (1424هـ-2004م) أصول الفقه الاسلامي، اعادة الطبعة الثانية، دار الفكر-بيروت.

- الزحيلي، و، (1420هـ - 2000م) العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، ط1، دار المكتبي- دمشق.
- الزحيلي، و، (1427هـ - 2007م) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، د. وهبة ، ط1دار المكتبي – دمشق.
- زيدان، ع، (1432هـ - 2011م) أصول الدعوة، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- السجستاني، س، أ، (د.ت) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر- بيروت.
- السلمي، ع، ع، (1400هـ-1980م) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ط2، دار الجيل-بيروت.
- الشاطبي، إ، م، (2003م) الموافقات في أصول الشريعة مع شرح وتعليقات الدكتور عبد الله دراز، المكتبة التوقيفية - القاهرة.
- الشيباني، أ، ح، (1421 هـ - 2001 م) مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- عطية، ج، (1422هـ - 2001م) تفعيل مقاصد الشريعة، ط1، دار الفكر – دمشق.
- عكيوي، ع، (د.ت)، أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، د.ط، جامعة ابن زهر - المغرب.
- العلواني، ط، ج، (1413هـ- 1992م) أدب الاختلاف في الإسلام، ط5، الدار العالمية للكتاب الإسلامي – الرياض.
- القرني، ع، م، (1419هـ–1998م) المختصر الوجيز في مقاصد التشريع، ط1، دار الأندلس الخضراء - جدة.
- قلعجي، م، ر، وقنيبي، ح، ص، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- لملم، إ، (1431هـ -2010م) المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائله، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية- جامعة العقيد الحاج لخضر – الجزائر.
- لوبون، ج، (2017م) السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عدل زعيتر، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.
- الماوردي، ع، م، (1416 هـ – 2005م) أدب الدنيا والدين، ط4، دار ابن كثير – دمشق.
- المقدسي، ع، أ، (1405هـ) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، ط1، دار الفكر – بيروت.
- النورسي، س، (2011م) الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النورسي، س، (2011م) صيقل الإسلام، بديع الزمان ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط6، دار سوزلر للنشر- القاهرة.
- النيسابوري، م، ح، (د.ت) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

قبوول كرنى جياوازي بيرورا وكاريگەرى لەسەر كارى بنياتنەر لەلاى شێخ سعيد نورسى

لقمان بهاء الدين أحمد
كۆليژي زانستە ئيسلاميەكان,زانكۆى سەلاحەدين-هەولێر
Luqman.ahmed@su.edu.krd

پوختە

ئەم توێژینەوە باسی قبوول كرنى بيرورا وكاريگەرى لەسەر كارى بنياتنەر لەلاى شێخ سعيد نورسى دەكات، كە يەكێكە لە دياترين ئەو زانا كوردانەى ژيانى خۆيان تەرخان كردووە بۆ يەكخستنى رێزى موسلمانان وگێرانەوەى سەروەرى بۆ شارستانيەتى ئيسلامى.

ئەم توێژینەوەيە گەيشتە ئەو ئەنجامەى كە كارى ئيجابى لەلاى شێخ سعيد بريتيە لە كاركردنى مرۆڤ بە پێى خۆشەويستى بۆ رێگاو رێزەوى خۆى بێ بيركردنەوە لە دژايەتى كەسانى دى يان كەمكردنەوەى بەهاكانيان. لە چەندەها شوێن لە پەيامەكانى رووني كردۆتەوە كە قبوولكردنى جياوازيەكان سەرچاوەى لە قورئان وسوونەت و مەبەستى ئاشتەوايى وپێويستى ئوممەت و رەچاوكردنى واقيعى سەردەم وەرگرتووە.هەروەها چەند مەبەستێكى شەريعەتى دياريكردووە كە لە ئەنجامى قبوولكردنى جياوازيەكان وەدەست دێن، وەكو: يەک رێزى و بلاوكردنەوەى خۆشەويستى وئاشتەوايى وهاريكارى ويەكترناسين و خۆپاراستن لە دوژمنان.

هەروەها كۆمەلێک بنەماى گرنگى داناوە بۆ كاراكردني قبولكردنى جياوازى وكاريگەر بوونى لەسەر كارى ئيجابى بنياتنەر وەكو: سەرقالبوون بە زانست ورەچاوكردنى گرنگترينى بەرژەوەندیەكان ولەبەرچاوگرتني ئايندەو دەرەنجامى كارەكان وئاشتەوايي و چاوپۆشين ولێبوردن وخۆپاراستن لە دەمارگيرى وبەرژەوەندە كەسييەكان لە كاتي گفتووگۆدا و تێرامانى گشتگير بۆ كەسەكان ورەخساندني بيري نەتەوايەتي بۆ كارى ئيجابي بنياتنەر.

بەم شێوەيە دەستوورێكي دارشتووە بۆ قبوول كرنى بيرورا وكاريگەرى لەسەر كارى بنياتنەر كە لەم سەردەمە پر لە ناكۆكي وئاژەوەيە زۆر پێويستيمان پێيە.

وشە سەرەكييەكان: قبوول كرنى جياوازي، كارى بنياتنەر، نورسى، مەبەستەكانى شەريعەت.

The effect of bearing the difference in achieving positive action according to Badi Al-Zaman Al-Nursi

Luqman Bahaaulddin Ahmed
College of Islamic Sciences,Salahaddin University-Erbil
Luqman.ahmed@su.edu.krd

Abstract

This study discusses the impact of accepting differences, on affirmative action, by Badiu al-Zamam Saeid Nursi. Nursi is one of the icons of the Kurds who devoted their lives to the reunion of the scatters of Umma and restoring its glory.

The research found that Nursi's definition of affirmative action is the work of man with affection for his path without thinking of enmity with others or devaluing their status. In various places in his Messages, he mentioned that Accepting Differences is sourced from the Quran and Sunna, with the purpose of peace, the needs of Umma, and observance of the era. He has further stated that Accepting Differences leads to achieving several purposes of Shari'a, such as unity, spreading love and peace, cooperation, introduction to one another, sympathy for the sake of Allah, and protection from enemies.

Nursi introduced the main pillars for activating Accepting Differences in Affirmative Action. They include being busy with knowledge, considering priorities among interests, looking at the end of the actions, reconciliation, overcoming racism, avoiding personal aims during discussions, having a holistic view of people, and exploiting nationalism for Affirmative Action. In this way, he established a guideline on accepting differences and its effects on Affirmative Action, which is very much needed in this chaotic and conflicting era.

Keywords: difference, positive action, Al-Nursi, purposes of Shari'a.